٣- المرأة فى حياه محمد على

لم يقتصر دور محمد على فى حياته على بناء دولة، أو الصراع من أجل البقاء على رأس السلطة فى مصر، بل هدف أيضا إلى تكوين أسرة تحمل اسمه، وتحافظ على أمجاده.

إن محمد على لم يظهر على مسرح الأحداث فجأة، ولم تتجلى قدراته وعبقريته التى غيرت مجرى تاريخ مصر والشرق صدفة بل هناك من الأشخاص الذين ساندوه، ومن الظروف التى ساعدته ما هيأه للوصول إلى اريكة الحكم، وجعلت من هذا اليتيم الفقير رجلا يشار له بالبنان.

إن هناك العديد من الأسباب التى دفعت محمد على منذ صغره إلى التطلع للمجد والعمل من أجل الوصول إليه، وتحويل الآلام التى تعرض لها فى شبابه إلى آمال حلمت بها أمه قبل ولادته حقيقة فإن الدنيا حظوظ، ومصير الانسان فيها يتوقف على لحظة يمكن عن طريقها تغيير مجرى حياته، ومع ذلك فإن العزيمة القوية هى التى يكون لها القول الفصل فى إيجاد الرجل العظيم.

وبما أن للمرأة سواء كانت الأم أو الزوجة أو الحبيبة غالبا تأثير مباشر فى تكوين حياة العظماء، فإن أثر المرأة فى حياة محمد على، ودورها فى وضع بصمات واضحة فى تكوينه، وفى مساندته لارتقاء سبيل المجد يبدو واضحا وبما أن تكوين أسرة تحمل اسم محمد على وتساعده فى أداء مهامه، وتحافظ على إنجازاته وأمجاده كانت ضمن أهدافه فإن محمد على نجح فى تكوين أسرة من الأبناء والأحفاد إستطاعت أن تحكم مصر ما يقرب من المئة والخمسين عاما.

وفيما يلى نعرض لدور المرأة فى حياة محمد على ثم لأولاد محمد على السبعة[١]، الذين عاشوا، وانطبعت فى أذهانهم بطولات والدهم، وساعده بعضهم فى بناء مصر الحديثة.

أولا: دور المرأة فى حياة محمد على:

إن أثر المرأة فى حياة محمد على ودورها فى وضع بصمات واضحة فى تكوينه، وفى مساندته لإرتقاء سبيل المجد يبدو جليا فى دور والدته "زينب بنت حسين أغا" فى تكوينه وتنشئته. تلك السيدة الحازمة التى توفى زوجها "إبراهيم أغا" والد محمد على وهى فى ريعان شبابها، وأوقفت حياتها على تربية ابنها، ورغبت إليه الشعور بالطموح والمجد، وحببت إليه الرغبة فى القضاء على الأشرار والسفاحين إنتقاما لأبيه الذى قتل على يد عصابة من اللصوص. وفى دور زوجته الأولى[٢]، أمينة هانم بنت على باشا الشهير بنصرتلى.[٣]

لقد رأت زينب قبل ولادتها لمحمد على حلما فى منامها كان فى نظرها حلم المجد والعظمة، فقد رأت ابنها يعتلى فرسا أبيض مزينا بغطاء من الفضة، وركابه الفضية تبرق من الشمس مع كل خطوة يخطوها وهو يصعد به بصعوبة طريقا وعرا شديد الانحدار، وعندما وصل إلى القمة نزل من على فرسه ليصعد أعلى منصة ثم يجلس على كرسى ضخم مطلى بالذهب وهو ممسكا سيفه.[٤]

ولما حكيت زينب ما رأته لزوجها قال إنها خرافات ونصحها بألا تكثر من الأكل قبل الذهاب إلى الفراش، ومع ذلك فقد ظلت زينب مقتنعة فى سريرتها بأن هذا الحلم له مغزى خاص[٥]، ولذلك لجأت إلى عرافة ذاع صيتها فى قوله[٦] Kavala وطلبت منها تفسير هذا الحلم، وعما يخبئه الزمان لمولودها الجديد، فتنبأت لها بأن ولدها سيرقى ذروة المجد والعظمة، وسيكون حاكما قويا لأمة كبيرة، وأن السماء بشرتها بذلك فرأت بعينيها عرش ابنها وهو يجلس عليه[٧]، فاغتبطت زينب بهذه النبوءة ولم تكف عن حكايتها لابنها محمد على

---

(1) الجدير بالذكر أن محمد على انجب ثلاثون طفلا منهم سبعة عشر ولدا وثلاثة عشر بنتا لم يعش من بين أولاده الذكور ويصل إلى مرحلة الشباب سوى سبعة وهم إبراهيم، وطوسون، وإسماعيل كامل، وسعيد، وحسين، وعبد الحليم، ومحمد على الصغير أما العشرة الباقون فقد ماتوا أطفالا. وبالنسبة للبنات فلم يبلغ منهم الكبر سوى توحيدة ونازلى، وزينب (الابنة الرابعة التى تحمل هذا الاسم على التوالى) اما العشر الآخريات فقد توفين وهن فى مرحلة الطفولة.
للتفاصيل انظر: عفاف لطفى السيد: مصر فى عهد محمد على – ترجمة عبد السميع عمر، ص ١٢٩.
وكانت تسمية محمد على لأبنائه ذات دلالات واضحة، فقد سمى اثنين من أولاده باسم اسكندر تيمنا بالاسكندر الأكبر الذى كان يفتخر بأنه مقدونى الوطن مثله، كما كان معجبا بسيرته، ويكن له إحتراما كبيرا.

(2) تزوج محمد على أكثر من مرة فتذكر مصادر التاريخ أن زوجته الثانية كانت "ماه دوران هانم" أو "قمش قادين" ولم يرزق منها بأولاد، هذا بالإضافة إلى مستولداته.

(3) اسم قرية بمقاطعة دراما Drama شمال مدينة قوله.

(4) يقارن المؤرخون بين هذا الحلم، والحلم الذى رأته والدة الاسكندر الأكبر قبل مولده بأن رأت صاعقة إنقضت على الأرض قبل ولادة ابنها وقد تنبأ لها العرافون بأن ابنها سيكون عظيما، وأنه سيملك الأرض وما عليها.

(5) نيفين مسرى: قسمة. القدر العجيب لمحمد على باشا الكبير مؤسس مصر الحديثة، ص ٣ ـ ٤ ، والأميرة شيوكار: بلادى إحياء مصر، محمد على باشا، ص ١٨.

(6) مسقط رأس محمد على.

(7) لويزا مولباخ، محمد على الكبير ، ص ١٥.

عندما ترعرع واشتد عوده فأثرت فيه تأثيرا شديدا وأقسم لأمه أنه سيعمل على تحقيق هذه النبوءة، وشكرها على أنها كشفت له عن مستقبل حياته ثم لم يلبث أن أحس بدافع يدفعه إلى سلوك الطريق المؤدى إلى المجد فأخذ يرقب الفرصة حتى سنحت له.

وظل محمد على تحت رعاية أمه الحنون يستمع هو وأخوته[١] إلى قصصها المثيرة التى كانت ترويها له مساء كل يوم قبل النوم عن مشاهير السلاطين وحكايات النبل والشهامة والفروسية وكان أحبها إلى قلبه قصة تلك الرؤيا التى رأتها أمه فى الحلم قبل ولادته والتى كانت طبقا لكلام أمه حلم المجد والعظمة. ولكن سعادة محمد على لم تدم طويلا فقد قتلت عصابة من اللصوص والده خلال مطاردته لها وشوهت وجهه ونقل جثمانه إلى بيته مضرجا بالدماء.[٢]

وعلى الرغم من طلب الكثير من الرجال الإقتران بوالدة محمد على فقد رفضت هذا الطلب رفضا باتا وباعت كل ما لديها للانفاق على أولادها. وأخذت فى تحميس محمد على على اجتياز الصعاب بعد وفاة والده حتى لا يشعر أحد بيتمه، وأن يكون أكثر قدرة على تحمل المسئولية ولم يطل المقام بوالدة محمد على حيث أصيبت بمرض خطير انتقلت على أثره إلى الرفيق الأعلى فبات محمد على يتيم الأبوين وحيدا يرى الدنيا حوله كأنها قفر مقفر لا يدرى ما المصير.[٣]

تولى تربية محمد على والإنفاق عليه عمه طوسون غير أن المنية عاجلته فأصبح الغلام يتيما قاصرا[٤]، وخلال تلك الفترة ظل الحلم الذى حكته له والدته فى ذاكرته يبعث فيه روح الأمل. هذا عن دور والدة محمد على فى تكوينه وتنشئته أما عن دور زوجته الأولى "أمينة بنت على أغا" الأرملة الشابة[٥]، فقد شجعته على تحقيق طموحه الذى لا يتوقف عند حد، وكانت الشخص الوحيد الذى كان له الجرأة على ترويض أحلامه ومواجهته بأخطائه، وعلى مر السنين أنجبت أمينة لمحمد على خمسة أطفال ثلاثة أولاد وبنتين. وهم إبراهيم وأحمد طوسون، وإسماعيل كامل وتوحيدة، ونازلى. وبعد أن حشد الباب العالى جنوده لإخراج الفرنسيين من مصر تم استدعاء محمد على وتعيينه نائبا لقائد فرقة البانية مسافرة إلى

---

(1) ترك والد محمد على مجموعة من الأولاد توفوا جميعا ولم يبق على قيد الحياة سوى محمد على، انظر: جورج يانج: تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل، ص ٦١.

(2) لويزا مولباخ، مرجع سابق، ص ١٤.

(3) خالد عبد المحسن بدر: شخصية محمد على رؤية تحليلية دراسة ضمن ندوة مصر فى عصر محمد على إصلاح أم تحديث، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ص ص ٣٤- ٣٥.

(4) جرجى زيدان: تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامى إلى الآن، جـ١.

(5) كانت أرملة دون أن تكون قد تزوجت، وقصة ذلك أن والدها توفى وهى طفلة فطمع حارسها القضائى فى ميراثها وأرغمها على الزواج منه على أن يدخل بها عند بلوغها ولكن هذا الرجل قتل قبل أن يدخل بها، انظر نيفين يسرى: مرجع سابق، ص ص ١٦-١٧.

مصر[١]، فترك لزوجته حملا ثقيلا وهو مسئولية تربية أطفاله الخمسة بعد أن أوصى ابنه الأكبر إبراهيم بأمه وأخوته.

ومع أن أمينة عانت منذ سفر زوجها إلى مصر عشر سنوات من الوحدة والخوف والقلق فقد تحملت بشجاعة وبدون شكوى كل ذلك، وكان نصيبها فى هذه الفترة الانتظار كما كانت تتظاهر أمام الناس بأنها حياتها هادئة سعيدة وهى ترعى بيتها وأبناءها الخمسة انتظارا لعودة زوجها الحبيب إلى أن وصلها نبأ توليته نائبا للسلطان على مصر.

لقد وصل محمد على إلى حكم مصر بناء على رغبة شعبية حيث بايعه زعماء الشعب وهنا تذكر الحلم الذى كانت تحكيه له والدته مرارا وتكرارا والذى كانت قد رأته قبل ولادته بأنه سيكون عظيما.

قد يقول البعض ما هو دخل الحديث عن هذا الحلم فى الدراسة التاريخية؟ الواقع أن المؤرخ الذى يترجم لحياة الأشخاص كثيرا ما يحتاج إلى التعرف على أساليب المعاينة النفسية حتى إذا تعرض لدراسة أحدى الشخصيات يستطيع التعرف على عمليات نشوء الشخصية وتكوينها وعلى وصف سلوك الفرد وتحليله على أساس الأدوار التى قام بها والتفاعلات التى تعرض لها تجاه إحداث معينة ومن هنا فإن العلوم النفسية لها أهمية بالغة لدى المؤرخ وعلى أى حال فبعد أن استقرت الأمور لمحمد على فى مصر أرسل إلى زوجته رسالة يأمرها فيها بإرسال نجليه إبراهيم وطوسون إليه فى القاهرة، وأن ترحل هى وابنها الأصغر اسماعيل وبنتاها توحيدة ونازلى إلى استنبول ليتعلموا البروتوكول والإتيكيت المتبع فى البلاط السلطانى.

وعلى الرغم من فرحة أمينة بمنصب زوجها كوال على مصر فقد امتلأت الغيرة قلبها خشية أن تستميله إمرأة جميلة وصغيرة من حريمه أو تحطن به الفتيات الشركسيات وتحاول كل منهن جذبه، وتعمل على أن ينسى زوجته وأبناءه الخمسة، وتحاول أن تعطيه ابنا لترتفع به إلى مرتبة "قادن" أى زوجة مما ملكت إيمانهم.[٢]

حقيقة لقد كانت أمينة تعلم أن زوجها يحترمها، ولكن هذا الاحترام وحده لا يكفى تلك المرأة المحبة لزوجها لذلك كانت الغيرة والشكوك تساورها لقد أدركت "أمينة هانم افندى" أنه منذ اللحظة الأولى التى ستطئ قدمها أرض مصر فإن حياتها سوف تتغير تغييرا شاملا فمنصبها الجديد كان يتطلب منها مسئوليات كبيرة، وكان عليها أن تساند زوجها فى حدود

([1]) تولى محمد على قيادة هذه الفرقة بعد ذلك عند عودة قائدها إلى قوله، وترقية محمد على إلى رتبة البكباشى.
([2]) نيفين يسرى: مرجع سابق، ص ٨٥.

قدرتها. يضاف إلى ذلك أن مركزها كزوجة للوالى سيخرجها من محيط الحياة العادية كزوجة وأم ويجعلها "هانم افندى" وأن تعطى انطباعا بأنها أسعد سيدة فى مصر.

وبعد أن وصلت أمينة هانم إلى أبواب القاهرة، كان ابنها إبراهيم فى انتظارها ثم استقبلها الباشا وقادها إلى "الحر ملك" لترى محل إقامتها الجديد، حيث إنها بصفتها زوجته الأولى ستكون السيدة الرئيسة فيه. وعندما دخلت أمينة إلى هذا المكان رأت صفين من أجمل الفتيات واقفات لتحيتها، فردت امينة هانم التحية ثم قامت برفع الخمار والتفتت لمشاهدة نفسها فى المرآة، وعندئذ أصيبت بصدمة، واختفت الابتسامة من شفتيها عندما رأت فى صورتها آثار الإرهاق من السفر وبداية التجاعيد على وجهها، وظهور الشيب فى شعرها مما ذكرها بسنها، فالتفتت إلى الفتيات مرة ثانية لتنظر اليهن بدقة لتجد فتيات ممتلئات بالصحة والحيوية والجمال أكبرهن لا يزيد عمرها عن الخامسة والعشرين فأدركت أن منافستهن أمر مستحيل فاتخذت قرارها فى الحال وقالت فى نفسها أنا "أمينة بنت على أغا" أرفض اقتسام زوجى مع تلك الفتيات مهما كانت عادات وتقاليد هذا البلد ثم اقتربت أمينة هانم من الباشا وطلبت منه أن تحدثه على انفراد، وقالت له فى هدوء أرجو أن تفهمنى أفندينا سوف أقوم بكل امكانياتى وقدراتى بمهام سيدة مصر الأولى، ولكن من الآن فصاعدا أرجوكم أن تنسوا أننا زوج وزوجه، فنظر إليها محمد على باستغراب دون أن يفهم سبب هذا القرار المفاجئ، ولم ينطق بكلمة. ومنذ ذلك اليوم لم يطأ قدم أمينة هانم جناح الباشا، ولم يدخل هو جناحها قط[1]، ومع ذلك فقد ظلت أمينة على وفائها واحترامها لمحمد على، وأن ظلت تأخذ عليه إرسال أولادها إلى الحروب ومواجهة المخاطر للوصول إلى غايته وأهدافه، ومع ذلك فإنها لم تفقد صوابها معه إلا بعد إحراق ابنها اسماعيل خلال حروبه فى السودان حيث انطلقت إلى جناح الباشا تفتح الأبواب بعصبية زائدة، وهى تقذفه بالإتهام الرهيب أنتم المسئول عن موت إبنى اسماعيل. أنتم الذى قتلتم ابنى سامحكم الله. ومع كل ذلك ظلت أمينة على وفائها واحترامها لمحمد على وبعد وفاة ابنها طوسون بمرض الطاعون اعتزلت أمينة الحياة الرسمية وعاشت باقى حياتها فى خدمة البؤساء وفى أعمال الخير، فكانت تكثر من الصلاة وقراءة القرآن وقد توفيت أمينة هانم فى عام ١٨٢٤م بالقاهرة، ودفنت فى المدفن الكبير بالامام الشافعى. [2]

هذا عن دور أمينة فى حياة محمد على كزوجة أولى، أما عن زوجته الثانية "ماه دوران هانم" أو "قمش قادين" فإنها لم تنجب له أطفالا، كما أن تأثيرها فى حياته ليس كبيرا.

([1]) نيفين يسرى: مرجع سابق، ص ١٣٨- ١٤٠.

([2]) حنفى المحلاوى: حريم ملوك مصر من محمد على إلى الفاروق ، ص ٥٤.

وبالنسبة لمستولدات محمد علـــى فهن:

- أم نعمان وقد رزق منها الأمير نعمان.
- عين حياة قادين وقد رزق منها محمد سعيد باشا الذى تولى حكم مصر فى الفترة من ١٨٥٤- ١٨٦٣م.
- ممتاز قادين وقد رزق منها الأمير حسين بك.
- ماهوش قادين وقد رزق منها الأمير على صديق بك.
- نام شاز قادين وقد رزق منها الأمير محمد عبد الحليم الـذى تنـافس علـى عـرش الخديوية مع الخديوى توفيق.
- زيبه خديجة قادين وقد رزق منها الأمير محمد على الصغير.
- شمس صفا قادين، وقد رزق منها بنتين هما الأميرة فاطمة هانم والأميرة رقية هانم.
- شمع نور قادين وقد رزق منها الأميرة زينب هانم.
- نايلة قادين ولم يرزق منها أولادا.
- كلفدان قادين ولم يرزق منها أولادا.
- قمر قادين ولم يرزق منها أولادا.

وإلى جانب كل ذلك فإن محمد على لم يفقد إعجابه بالوجوه الجميلة للفتيات الحسـناوات من التركيات والشركسيات والجورجيات اللاتى لم تتعد بعضهن العاشرة من عمرها واللاتـى لهن عادة بشرة ناصعة البياض[1]، على الرغم من لحيته البيضاء ومـن هـؤلاء الزوجـات والمستولدات أنجب محمد على سبعة عشر ولدا وثلاثة عشر بنتا. وقد ولد آخـر طفلـين لـه عندما كان قد تجاوز الثالثة و الستين. [2]

وهكذا ومن خلال الصورة التى قدمناها عن دور المرأة فى حياة محمد على يبرز أثر والدته، وزوجته الأولى في تكوينه ومساندته فى ارتقاء سلم المجد والعظمة.

زيبة قادن " زوجة محمد على "

زوجة محمد على و ابنتيه

(١) صوفيا لين: حريم محمد على باشا ، ص ١٧١.
(٢) عفاف لطفى السيد: مصر فى عهد محمد على، ص ٥٦.

الملاحق
زوجات محمد علي

أمينة هانم

- **محمد علي باشا الكبير**

كانت له زوجتان

- الأولى: أمينة هانم وهي بنت علي باشا الشهير بمصرلي من أهالي قرية نصرتلي التابعة لدراما رزق منها محمد علي باشا الكبير خمسة أولاد ثلاثة أنجال وبنتين وهم:الأمير إبراهيم باشا - الأمير أحمد طوسون باشا - الأمير إسماعيل كامل باشا - الأميرة توحيدة هانم - الأميرة نازلي هانم

- الثانية : ماه دوران هانم (أوقمش قادين) لم يرزق منها أولادا

<u>أما مستولداته فهن :</u>

-أم نعمان وقد رزق منها الأمير نعمان بك
-عين حياة قادين وقد رزق منها محمد سعيد باشا (والي مصر)
-ممتاز قادين وقد رزق منها الأمير حسين بك
-ماهوش قادين وقد رزق منها الأمير علي صديق بك
-نام شاز قادين وقد رزق منها الأمير محمد عبد الحليم
-زيبة خديجة قادين وقد رزق منها الأمير محمد علي باشا الصغير
-شمس صفا قادين وقد رزق منها بنتين الأميرة فاطمة هانم، الأميرة رقية هانم-شمع نور قادين وقد رزق منها الأميرة زينب هانم
-نايلة قادين لم يرزق منها أولادا
-كلفدان قادين لم يرزق منها أولادا
-قمر قادين لم يرزق منها أولادا

ثبت المصادر والمراجع

مصادر غير منشورة:

أولا: الوثائق والمخطوطات:

دار الوثائق القومية:

١- الأوامر والمكاتبات الصادرة من عزيز مصر محمد على ثم من ولده العزيز إبراهيم إلى وفاته. مخطوط تحت رقم ٢٤٨٤ (تاريخ تيمور).

٢- محافظ أبحاث محفظة ١٣٥ صورة التقرير الذى تضمن إسداء محمد على النصح لأعضاء أسرته والمقدمين من رجاله بتاريخ ١١ محرم ١٢٦٣هـ.

محفظة ١٤٩ مخطوط بعنوان عبر البشر فى القرن الثالث عشر.

٣- المحفوظات الملكية تركى: ملف (١) وثيقة رقم ٩٨ خطاب من محمد على إلى ابنه إبراهيم فى ٤ ربيع الأول ١٢٣٧هـ.

ثانيا: المصادر والمراجع المنشورة:

- بيير كرابيتس: إبراهيم باشا- ترجمة محمد بدران، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٧.
- جرجى زيدان: تاريخ مصر الحديث من الفتح الاسلامى إلى الآن الجزء الأول، القاهرة- مطبعة الهلال ١٩١١.
- جورج يانج: تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل- تعريب على شكرى ، القاهرة ١٩٣٤.
- حنفى المحلاوى: حريم ملوك مصر من محمد على إلى الفاروق، القاهرة، دار الامين، ١٩٩٣.
- خالد عبد المحسن: شخصية محمد على رؤية تحليلية- دراسة ضمن ندوة مصر فى عصر محمد على اصلاح ام تحديث، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
- شيوه كار (الأميرة) بلادى- أحياء مصر محمد على باشا، ترجمة اميل مراد، د.ت.

- عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، الجزء الرابع، القاهرة، الطبعة الشرفية.
- عبد الرحمن الرافعى: عصر محمد على، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥١.
- عبد المنعم الجميعى: الثورة العرابية: بحوث ودراسات وثائقية، القاهرة، دار الكتاب الجامعى ١٩٨٢.
- عمر طوسون: البعثات العلمية فى عهد محمد على ثم فى عهدى عباس وسعيد، الإسكندرية.
- عفاف لطفى السيد: مصر فى عهد محمد على – ترجمة عبد السميع زين الدين، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤.
- لويزا مولباخ: محمد على الكبير، القاهرة، دار الهلال، فبراير ١٩٥٢.
- نيفين يسرى: قسمة – القدر العجيب لمحمد على باشا الكبير مؤسس مصر الحديثة– ترجمة على محمد سعيد ذو الفقار، ٢٠٠٢م.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

- Sophia Poole: The English Woman in Egypt , Cairo, American University, 2003.

رابعا: الدوريات:

- الأهرام: نوفمبر ١٩٤٩.
- الهلال: ديسمبر ٢٠٠٤.